

## 50 سنة على رحيل سعيد تقي الدين

# الرجل العظيم لا ينتهي بماتم

■ حسن ر.حسن

العقل في رحلته المتحدية علّه يجد منفذاً من كوة نور، او معبراً لم تخف معالمه العواسج المتشابكة والطفليات المتطاولة. بغالبه الأمل بأن لا بد لهذه الغابة من حدود، ولا بد لهذا التيه من نهاية.

وسط هذه الإنفعالات، تقفز بعض صور الماضي لتلما كل المساحات التي يجول فيها الفكر، تفتل على كل الصور الضبابية التي يظلمها الواقع المعتم. يعيش المرء معها، حتى يكاد إن ينسى كل ما يحيط به وما يتخبط فيه. ولا يسمع الا اصداه اصوات متميزة تتردد في الأرجاء والأجواء....يا بني وادي الازر، لقد خفت موازينكم وتصدر الشيطان مجالسكم. فقصرتم وجودكم على التوافة، وعلى هدم بعضكم بعضاً. ولكني لا اصدق انكم تقهرون. إذ ان كهارب نفوسكم طاهرة مجورة، وهذه الاران ليست في خلايا دماغكم، بل هي طفيلية على اجسامكم، رواها بالقدارة من روى ارضكم بدم قتلاكم. ليبنى من غضامكم سلماً يرتقي عليه الى مراكز الزهو والرفاهية.

على انكم لا تقهرون. فلقد نزلت بنا منذ القديم المحن والغزاة والفرقة والإبغاض. وزالت المحن، وزالت دولة الغزاة، ونحن الغالبون..»

هذا الصوت اطلقه سعيد تقي الدين منذ اكثر من خمسة وخمسين عاماً. وهذا الصوت سوف يبقى مدوياً يتردد صداه مع خربير كل نهر وساقية، ومع نذبينات الهواء وحفيف أوراق الشجر. حتى لو لم يبق على وجه الارض قلم تمسكه يد حرّة، ليكتب بمداد الكرامة تاريخ أمة «ترفض القبر مكاناً لها تحت الشمس». وحتى لو بعثرت رجح الجاحلية كل الأوراق التي دونت عليها وفقات العزّ، او احقرت نيران البرابرة كل مكتبات التاريخ.

ويكفي الفكر عن التحليل نحو الذرى، تائها في غابة موحشة لا تنفذ اليها اشعة الشمس، وسط مستنقعات آسنة وادغال مريبة لا يسمع فيها سوى عواء الذئاب ونقيق الضفادع. يعود العقل الى مخزونات، فيلتف شريط الذكريات من جديد، يعرض صوراً واعدة تخفف من وحشة الزمان والمكان، وتبعث في النفس رغبة التوثب. فيستمر



سعيد تقي الدين بريشة فروخ (1956)

علينا في لوح القدر، مستكينين لفجيح التنبّئ الطائف... وبين الإبحار في زورق أهل يرفق راية الطموح والتحدى، تنهزاً اشرعته بصفير العواصف، وكانها تتلوى على انغام سفوفية كتبت بأقلام العزّ ومداد الحرية. مع ما تنطوي عليه الرحلة - المغامرة من مفاجآت المخاطر والاهوال. وعندما يصل الاحساس بالمعاناة ذروة التناجح،

هل يجوز لنا اعتبار مرور 50 عاماً على رحيل سعيد تقي الدين - جسداً - انه «اليوبيل الذهبي» لتكري عظيم رحل، استناداً الى قول سعيد نفسه «الرجل العظيم لا ينتهي بماتم»؟

اترك هذه الاشكالية الى محترفي البحث في الاشكاليات، واعدو الي التاسع من شباط من العام 1960، تاريخ رحيل سعيد تقي الدين، لاستذكار تدايعات المرحلة التي فحرت براكين الإبداع لدى سعيد منذ ان شاهد «القميصة المكسورة»، والى ان انهي «خدمة العلم» وكسب «نعمة التقاعد»، ليؤرخ، «ان من مصائب بلادنا ان البارزين منا هم نار ونور في قوتهم، وهم رماد وظلمات بعد ذلك...»

في جزيرة «سان اندريس» حيث لا... ولا... والبرغش عصفاته تحرق البطالون. استقر سعيد وفي نفسه: «اشراقة وضاءة تتقد... فانا لهب من حياة وسعادة. في بيروت عشرات الالوف تاتيهم الطيبات كلما ضربوا كفا بكف. ولكن ليس في جزيرة سان اندريس الا رجل واحد نزل فيها، بعد ان شرذته قضية وجها»، و... لنصر كما سوريا هذا القليل.

واعود الى استذكار ما كان يتصارع في نفسي بعد رحيل «العميد» سعيد، وكم تماهيت مع آلام بلادي وتمرمرت لما توالى عليها من تدايعات، والمعاناة التي تعترض قلوبنا كلما عصفت بنا ريح التيه الحضاري، وتقاذفت زورقنا انواء بحار الظلمات، ولم تعد تقوى مجاذيفنا واشرعنا على تقويم مسار الزورق المتنارجح بين هدير الموج وعصف الريح، وخلصنا انه لم يبق امامنا سوى انتظار القدر المحتوم، غرقاً في لجح تيارات متلاطمة، او تعلقاً بخشية تطوف بين قطعان الحيتان وقبائل سمك القرش. إذ يفلت صمّام انضباط الذاكرة، ويبدأ شريط الذكريات يلتف عكسياً بتسارع كبير، ليكف عند المشهد الاول... وفترة تصارع الاختيار بين البقاء على رمال شاطئ قاحل ومهجور، تتأكلنا عوامل الكسل والخوف، قانعين بما كتب

## ديوان البناء نازك الملائكة



ليت نهر النسيان لم يك وهما صورته اخلامنا لاسانا

ليته كان ليت اخباره حق لننسى ما كان او ما يكون نعيمش الاحرار من قيد بلوا نا ويعفو عنا الغد المجنون يا صفاف النسيان قد جاءك الشا

عر فلترحمي جراح اساه انضحيه بماك الأسود البا رد ولتشفقي على بلواد

يا صغاف النسيان قد جاءك الشا

عر فلترحمي جراح اساه انضحيه بماك الأسود البا رد ولتشفقي على بلواد

يا صغاف النسيان قد جاءك الشا

عر فلترحمي جراح اساه انضحيه بماك الأسود البا رد ولتشفقي على بلواد

يا صغاف النسيان قد جاءك الشا

عر فلترحمي جراح اساه انضحيه بماك الأسود البا رد ولتشفقي على بلواد

يا صغاف النسيان قد جاءك الشا

عر فلترحمي جراح اساه انضحيه بماك الأسود البا رد ولتشفقي على بلواد

يا صغاف النسيان قد جاءك الشا

عر فلترحمي جراح اساه انضحيه بماك الأسود البا رد ولتشفقي على بلواد

يا صغاف النسيان قد جاءك الشا

عر فلترحمي جراح اساه انضحيه بماك الأسود البا رد ولتشفقي على بلواد

يا صغاف النسيان قد جاءك الشا

عر فلترحمي جراح اساه انضحيه بماك الأسود البا رد ولتشفقي على بلواد

يا صغاف النسيان قد جاءك الشا

عر فلترحمي جراح اساه انضحيه بماك الأسود البا رد ولتشفقي على بلواد

يا صغاف النسيان قد جاءك الشا

عر فلترحمي جراح اساه انضحيه بماك الأسود البا رد ولتشفقي على بلواد

يا صغاف النسيان قد جاءك الشا

عر فلترحمي جراح اساه انضحيه بماك الأسود البا رد ولتشفقي على بلواد

يا صغاف النسيان قد جاءك الشا

عر فلترحمي جراح اساه انضحيه بماك الأسود البا رد ولتشفقي على بلواد

يا صغاف النسيان قد جاءك الشا

عر فلترحمي جراح اساه انضحيه بماك الأسود البا رد ولتشفقي على بلواد

يا صغاف النسيان قد جاءك الشا

عر فلترحمي جراح اساه انضحيه بماك الأسود البا رد ولتشفقي على بلواد

يا صغاف النسيان قد جاءك الشا

عر فلترحمي جراح اساه انضحيه بماك الأسود البا رد ولتشفقي على بلواد

يا صغاف النسيان قد جاءك الشا

عر فلترحمي جراح اساه انضحيه بماك الأسود البا رد ولتشفقي على بلواد

يا صغاف النسيان قد جاءك الشا

عر فلترحمي جراح اساه انضحيه بماك الأسود البا رد ولتشفقي على بلواد

يا صغاف النسيان قد جاءك الشا

عر فلترحمي جراح اساه انضحيه بماك الأسود البا رد ولتشفقي على بلواد

## صباح زوين

## وديع سعادة وناظم السيّد وسامر أبو هوش في ملابسات شعريّة

وهذه الكسور القديمة تحت الجلد- الجروح الموزعة في الوجه والرأس... كان حياتي ليست اكثر من وجه- ملصق بإحكام على نافذة قهطار.

\* لا اعرف كيف تتراكم الأوراق والكتب في بيتي- لكنني اعرف انها دليل على كاتبتي- هذه قد تكون وقائع حياتي....

\* انور في الشوارع- حاملاً رأسي تحت ابطي- مغلقة فمه- بيدي التي انترعتها- من مستقبل شخص آخر.

\* تاملت حياتي تحدث بقربتي- عاجزاً عن وشوشتها- أوحتي قرصها من تحت الطاولة- في الأيام التالية- راقتني إلى الباب- وعدت إلى الكنبه- انومع اشياء كثيرة وصلبة.

\* حين عدت - ووجدت كل شيء على حاله- بما فيه- الظل الواهن الذي رسمته في الهواء لتلويحي الأخيرة.

\* كيف حصل ان قبضت على حياتي بيدي ؟- ثم من يستطيع ان يخلصها مني ؟- والكل- والجميع- والاشياء العديدة هل كانت لي ؟- والحاضر الذي يضرب رأسه بالحائط- والتفكير كتعويض عن الزهات-

\* علامة الاستفهام- تلك الرقية الملوية من الحبرية؟ \* ما يبقى أخيراً- لا الصمت ولا الكلام- بل الأشجار- هكذا كانت كالتالي- وأنا انتزع نفسي- وأنا انتزع اللحم الميت عن كعب قدمي- انتزع ماضيها.

\* مقال من صباح زوين: الجزء الثاني تكلمت لما أتى في الجزء الأول من المقارنات وعمليات تائر وتأثير في ما بين الشعراء، حيث كنت تناولت ناظم السيد وإستلهامه من كني.

في هذا الجزء الثاني أتناول الشاعر وديع سعادة من دون أي انتقاص لمكانته الشعرية وتجربته الطويلة، لكن أرى أنه من الضروري تبيان التشابه، وكما سبق وقلت في مقدمة الجزء الأول، قد يحب شاعر ما أثناء قراءته، تابعير لشاعر سواء، فلتعلق هذه في رأسه، وفي ما بعد تطوف إلى سطح ورقته أثناء كتابته الشعرية (كما قال مرة أحد أسدقائي)، فيستعملها بطريقة لا شعورية ولا إرادية، رغم أنه يعي ماذا يفعل، يعي انه يأخذ.

بالنسبة إلى سامر أبو هوش، لم أقرأ له سوى «شجرتان على السطح»، وموخرًا، كتابه الجديد «تخطيط فويا لتكنز»، وأحب القول بداية أن كتابه الأخير ينضح بريقاً شعرياً نادراً ما نقع عليه لدى الشعراء الشباب. إنها احساسيس شاقفة ومليئة رهافة. لكني أود القول أيضاً، من ناحية أخرى، ان كتابه «شجرتان على السطح» أخذ كثيراً من تقنية «البيت المائل والوقت والجدران»، كما من تقنية «لاني وكاني ولست» (وفي أي حال أيضاً تقنية كني السابقية واللاحقة لأنها تتبنى الأسلوب ذاته)، مع حيث طريقي في تطلع الجملة وأسلوبى وإيقاعى وتكرار المفردات (أولم ينتبه ناظم السيد إلى كل هذه التفاصيل ومنها التكرار، حتى فاضت من وعيه إلى ورقته؟! إضافة إلى بعض المعاني كالعجز عن الكتابة والعجز عن الحياة والموت والإحشاء وما شابه. في كلام بيبي وبين الشاعر ابو هوش، قلت له ما لاحظتة من تشابه، فواقني الراي وهو في أي حال يقول بكل موضوعية وعلناً إنه يكتب تحت تأثيرات عدة، سامر ابو هوش لا يدعي. إنه كلي الصراحة.

ما تقدمت به في الجزء الأول، كما في هذا الجزء الثاني، هو لمحاولة طرح السؤال حول مفهوم الكتابة الشعرية، وإعادة النظر في كل ما يكتب من حولنا، لعننا يمكننا إيجاد المعنى الحقيقي لكلمة تقليد، وكلمة ابتكار، وكلمة فن، وكلمة شعر، وكلمة تأثير وتائر، كما إيجاد تفسير للفرق بين تائر إبداعي (هذا إذا أمكن!!) وتأثير بيغائي، بين النسخ والإقتباس، وايضاً بين درجات النسخ، من التكثيف إلى الخفيف منه... إلخ.

كما سبق وقلت، هكذا مقالات ترهقني وتاكل طاقتي وقيل كل شيء وقتي. قد يظن القارئ اني في ساعة أو ساعتين أنجزت هذين المقالين. لكن هذا غير صحيح. أنه عمل مضمّن يستغرق ايام وساعات كثيرة. لذا ارجو بكل صدق الا اضطر مرة أخرى إلى أن أقوم به، حتى ينسئ لي ان اكتب قصائد جديدة، وهكذا تكون جميعاً سعادة: انا اكون أنجزت كتاباً إضافياً، والشاعر الراغب في الأخذ، قد انجزت له مصدر

موخشي من الأساس. والستارة التي تتدلى كجسم بحري بحري رخولمادا»... «وهناك يبقى هناك. وهنا ملتصق بالأجسام كالقوب العليل»... «الحائط فجأة. ومدخل البناية المبتسم باستمرار. وظلمة الطابق الأول. وخرافة الطابق الأخير»...«جاء الصيف، إذ، جاء الصيف. عاد الشتاء، إذ، عاد الشتاء. والمرأة تستجير بالرحمن وتغضب من لا شيء»... «اشياء كثيرة تقع في البيت...اشياء تقع. لا تنكسر. تبعد فقط. اشياء كثيرة تنسى في البيت»، «الأشجار مكررة. الأشجار وأوراق الأشجار مكررة». «يعود إلى البيت ويغلق الباب عليه. يخرج من البيت ويغلق الباب عليه أيضاً».

صباح زوين في «في محاولة مني» 2006: كنت اريد ان اموت، - الا اني ضحكت- في زرقة السماء- وفي الغرقة شققت الشباك الخشب شقا صغيراً- فيلغتنني اصوات القطارات- ونهار مائل- وعلامات استفهام.

\* فصلني عن الخارج زجاج الشباك، -إفاشرة بيدي- وهبط كل المعنى إلى اسفل- كنت قد سمعت صباحاً

أجراس الأحد. \* كنا نضحكي كل صباح على صمتنا- ولم اعد اذكر كيف كانت الأباريق المهشمة- ولا الشبايبك المغلقة. كنا فقط نحاول الإقتراب- من دائرتنا- نحاول كبت تلغمننا.

\* في اليوم التالي- كان الطقس دافئاً- ورحنا نمشي في الشوارع الصغيرة- رأيتنا نشري تفاحتين صفراوين- إلا ان وقتي لم يكن قد تطابق بعد.

\* على الحيطان المغلقة بالورق الأبيض- اذكر بعض الصور- لكني لا اذكر ان كان لمزهريات البيت عرى-

اولجارور المكتب مفتاح. \* وفي اللحظة التالية-، جلسنا في ردهة واسعة- حيث احاطتنا بعض الأوراق- وصور الاصدقاء-، اما الوقت فكان بدأ يميل.

\* لم اعد اذكر الألوان كلها- إلا اني في شوارع هناك- دمغت لوئي قليلاً بلون الشمس-

وفي المساء كنت انحني على- كتب وأوراق وبعض من المني.

\* كانت الشمس حادة، وكنت احمل ظلالتي- في كفي- عندما راتني السماء انحني على غسق طويل....

\* سمعت صوت احتكاك - العجلات- على سكة الحديد- كذلك سمعت- صغير القطار- وكلمتين أخيرتين.

\* اذكر ساعة الشمس-، والصحوة- وساعة الطيور على الشبايبك- لكني لا اذكر كيف كان المطيح يعيق بوجودنا- في ساعات الصباح.

\* لم اعد اذكر- كيف كانت تطلع الشمس علينا- كذلك لم اعد اذكر- كيف كنت اقضي وقتي- بين الحيطان البيضاء- والصور-.... اذكرها عندما غلقتنا الباب- وتركت بيتاً مائلاً إلى الأبد.

\* كيف كانت مسكات - الأبواب- كيف كانت اشكال- الكؤوس- والكراسي- وكيف الطاولة وبقية اشيائنا.

\* هل مادت الأشجار والبيوت والمقاهي ؟- هل مادت الصور والذاكرة؟.....

\* في طريق العودة- لم تكن تمطر- كانت زرقة السماء- تشير إلى موت ما- وتعاقت الوان الشمس-

على سطح يدي المنبسطة. \* في مقصوري لازمت مطرحي طوال الوقت، - وجهي لاصق بالخارج....

للمقارنة مع ناظم السيد في «منزل الأخت الصغرى» 2010 وقد أخذ الأسلوب، التعابير، وشيئامن المضمون:

\* لو كنت احتكاك الأكتاف في الأماكن المزدحمة- التصفيق المتعاطف- الرقية التي تلتفت لتغير مشهدها وتنقل حياة- لوالثرثرة الحماسية والواهمة للخارجين من صالة سيمفنا....

\* لا احب مغادرة شيء مثلاً- حين اترك بيتاً كنت استاجره اتالم حين اتخلى عن كنبه قديمة- اوحذاء كنت انزئه.... العادات السيئة ايضاً افارقها بندم-

مرة أخرى أنا على موعد مع التأثيرات الشعرية، على موعد مع كشف بعض الملابسات، حتى بت كاشع إزاء بعض الكتب إنها أنا وهو وأنا وهي وأنا ولست أنا إلخ، وهذه الإكتشافات تعجبني كثيراً وترهقني أعرف أن ثمة شاعرين فضا مرة في الصحف ناسخيهما ليكشفا عن مقولة أخذت من هنا وحملت من هناك. فكيف الحال بي وأنا أكتشف كتاباً يأكله مأخوذاً مني جملة وتفصيلاً، شكلاً تاماً، ومضموناً إلى حد بعيد (أي في التعابير وفي بعض المعنى)؟ فمن مجموع كتب ناظم السيد، وهي 4، إنفان (وربما ثلاثة) استوحاهما من كتابتي، وتحديد من: «البيت المائل والوقت والجدران» و«كما لو ان خلااً، أو، في ظل المكان»، و«في محاولة مني»، وكتبي هذه في كل الأحوال متشابهة جداً من حيث التقنية والمعنى. فكتابيا ناظم السيد الأخران متأثران بأسلوبى، لكن التصنع واضح عنده بسبب النسخ البارد والركيك وعدم تمسكه سوى بتعابيرى التي أخرجها من مضمونها - مضموني. أخذ في كتابه الأخير من «لاني وكاني ولست»، و«البيت المائل»، لكن بشكل خاص وكامل من «في محاولة مني»، ليتساءل مثلي: هل الأشياء له ؟ وأنا أتساءل «هل الأمكنة لي» ؟ (لاني وكاني ولست). وقال مثلي «لا كذا ... ولا كذا ...»، كما أنا قلت «لا الشمس المائلة والمحطات» (المصدر ذاته)، وقلت «لا الأباريق ولا الشبايبك» (في محاولة مني). وقال «الاشياء المديدة» بينما أنا قلت «مادت الأشجار وبقية الاشياء»... وركب القطارات كما يبدو حتى «التصق وجهه بزجاجها»، كما أنا ركبت القطارات وهي موجودة بوفرة في كتابي، فقلت «في مقصوري وجهي لاصق بالخارج !! وراقق الفتاة إلى الباب، كما توجهت أنا ومن راقتني إلى الباب، هذه العلامة المتكررة عندي. وغادر البيت كما غادرته انا، وتالم كثيرا كما تالمت، وطلعت امامه «علامات استفهام» كما طلعت عندي، وتكلم عن طريق عودته كما فعلت، وتكدست الكتب والأوراق في الغرقة كما في غرفتي، وسمع إحتركاك الأكتاف بينما انا سمعت احتكاك العجلات، ودار في الشوارع حاملاً رأسه تحت إبطيه كما أنا درت في الشوارع حاملة ظلالتي في كفي مرة، ومرة أخرى في ذراعتي:«تسكعت وحملت ظلي بين ذراعتي»، ولعب بالجملة كما انا فعلت فتساءل اوقال «لا اعرف كذا ... لكنني اعرف كذا...»، كما انا تساءلت «اذكر كذا... لكني لا اذكر كذا... ؛ وتكلم عن الأيام التالية كما انا تكلمت عن «اليوم التالي... واليوم الأول واليوم الأخير إلخ»؛ كذلك بتلويحة أخيرة اذكر يده، كما انا فعلت بإشارة من يدي في اليوم الأخير ! إضافة إلى مفهوم الكآبة والعجز اللذين يأتیان في كل كتبي وقد استوعبهما هويدياً. كذلك يسأل «ماذا يبقى أخيراً؟»، وأنا أسأل في البيت المائل «ماذا تبقى من البيت اليوم....»، علماً أن كتبي الأنفة الذكر مليئة بالعجز والكآبة والمعد والعزلة والظلال. كما اني أتساءل فيها متعجبة من ذاتي كيف تمكنت من الإستمرار، بينما هويتساءل متعجبا كيف قبض على حياته، والذوب التي وصفتها انا في الوجه والجسم، أصبحت جروحاً عنده في الوجه والراس. نقاط التشابه لا تنتهي من حيث التعابير ومن حيث التقنية.

صباح زوين في كتابه «كما لو أن خلا، أوفي خلل المكان»، سنة 1988 وفي «البيت المائل والوقت والجدران» سنة 1995:

إذا تجلس من جديد. الفعل ينتطح. أنها جالسة، تقرا، أو، جالسة تكتب. إذا كان مجردا، فهي تتحدث عنه. إذا كان غائباً، فهو يبتلعها. لماذا لا تصنعه لمره واحدة ونهائية، لماذا بيديها لا تصنعه المرأة. لكن إذا كان غير مكتمل. أو، إذا كان ضائعاً، كيف تجده.. لماذا أفعال كل هذا ؟ لماذا لا أجلس في اللاشيء حتى الإحماء». «لماذا فعلت ما فعلته. لماذا أنا هنا. لماذا بقيت جالسة والألم في صميمي». «الحائط منذ الصفحة الأولى. الحائط المحيط». «من باب الي

آخر، دون التمكن من الدخول والخروج:». «...تفتتح ابواب البيت وتغلقها من جديد»: «كيف الخروج إلى دخلت من جديد والدخول من جديد اذا اردت الخروج: «لا تريد المرأة الدخول والخروج بعد الآن».

للمقارنة مع ناظم السيد في «ارض معزولة للنوم» 2007 من حيث الأسلوب وبعض المعنى:

«لماذا هذا الشباك الرمادي رمادي. ثم لماذا



زينة قمر الدين بدران